

في نور محمّد فاطمة الزهراء

وإذا كانت هذه هي بعض مبادئ الأخلاق الواجبة الاتّباع في ميادين النزاع المسلّح،
تكريماً للبشرية، وارتفاعاً بها عن التدنّي إلى غرائز الحيوان، فإنّ النزاع السلمي في
ساحات النقاش والجدال أخرى بأن تكون له آداب تحقّق هذا التكريم. وهي آداب لا تُعزل
أحداً يعرف لآدميّته حقّها، سواء أكان من الخاصّة والأشراف أم من العامة وعرض[628]
الناس، فيها حسن الإصغاء، وعفّة الأسلوب، ومقابلة الرأي بالرأي، وصون اللسان عن الهمز
واللمز، وعن العيب والسبّ، والكفّ عن القهر الفكري، واجتناب التنازع بالألقاب. لكنّ
قريش - على ما قيل من اشتهاها بالمروءة، وامثالها كرائم الشيّم - نسيت هذا كلّها،
وأعجلت إليه بنقائص هذه الآداب، تهجّمت عليه بالزراية والتحقير، داهمته بكلّ دنيء
وخسيس. ولو أنّها وكّلت أمره إلى حفنة من غلمتها الذين لم يبلغوا الحُلُم، يسوّسهم
النزق[629]، ويسوقهم الطيش، ما طوّعت لها الخفّة أن تنال منه ما هو شرّ وأخبث ممّا
نالت منه هذه الجماعة المسوّدة[630] من الشيب والأشياخ التي تُسلّك في صفوة ذوي الرأي
والسداد، ونخبة الأشراف الأمجاد! وإذا كانت نفوس تلكم الزمرة قد راودتها مراراً على
اغتيالها، ثم كفّت أيديها عنه إلى الأبد، فأزّما أمساكها مرجاً[631] إلى حين تستكمل
خطّتها في الزراية به، وتهوين قدره على أصحابه، واقتلاع ما له من مهابة في قلوبهم
وإجلال، حتّى يصغر شأنه، وينبو به الناس، فذهب دمه عندئذ كقطرة طلٍّ حفّفتها الحرور،
فلا واطر إذاً ولا موتور! فما أشدّ ما فضعت به، وشذّعت عليه! وما أكثر ما بشّعته في
الخلوق والعيون!